

المزهـر في علوم اللـغة وأـنواـعـها

وقال لنا أبو عليٌ : يكاد يُعْرَف صدقُ أبي الحسن ضرورة وذلك أنه كان مع الخليل في بلد واحد ولم يحك عنه حرفاً واحداً هذا إلى ما يعرف من عقل الكسائي وعفّته و (مَلَـفـه) ونراحته حتى إن الرشيد كان يُجْلسه ومحمد بن الحسن على كرسين بحضرته ويأمـرـهـماـ أـلـاـ يـنـزـعـجـاـ لـنـهـضـتـهـ .

وحكى أبو الفضل الرياشي قال : جئتُ أبا زيد لأقرأ عليه كتابه في النبات فقال : لا تقرأه علىٰ إـنـنيـ قدـ أـذـسيـتهـ .

وـ حـسـبـنـاـ منـ هـذـاـ حـدـيـثـ سـيـبوـيـهـ (ـ وـقـدـ خـطـ بـكـتـابـهـ)ـ وـهـوـ أـلـفـ وـرـقـةـ عـلـمـاـ مـبـتـكـرـاـ وـ وـصـعـاـ مـتـجـاـوزـاـ لـمـاـ يـسـمـعـ وـيـرـىـ قـلـمـاـ تـسـنـدـ إـلـيـهـ حـكـاـيـةـ أـوـ تـوـصـلـ بـهـ رـوـاـيـةـ إـلـاـ الشـاذـ الفـذـ الـذـيـ لـاـ حـفـلـ بـهـ وـلـاـ قـدـرـ فـلـوـلاـ تـحـفـ ظـمـانـ يـلـيـهـ وـلـزـومـهـ طـرـيقـ ماـ يـعـنـيـهـ لـكـثـرـ المـحـكـيـاتـ عـنـهـ وـنـيـطـتـ أـسـبـاـبـهـ بـهـ لـكـنـ أـخـلـدـ كـلـاـ إـنـسـانـ مـنـهـ إـلـىـ عـصـمـتـهـ وـادـرـعـ جـلـبـأـبـ ثـقـتـهـ وـحـمـىـ جـانـبـهـ مـنـ صـدـقـهـ وـأـمـانـتـهـ مـاـ أـرـىـدـ مـنـ صـونـ هـذـاـ عـلـمـ الشـرـيفـ (ـ لـذـوـيـهـ)ـ

فـإـنـ قـلـتـ :ـ فـإـنـاـ نـجـدـ عـلـمـاءـ هـذـاـ الشـائـنـ مـنـ الـبـلـدـيـنـ وـالـمـتـحـلـيـنـ بـهـ مـنـ الـمـصـرـيـنـ كـثـيرـاـ ماـ يـهـجـنـ بـعـضـهـمـ بـعـضاـ فلاـ يـتـرـكـ لـهـ فـيـ ذـلـكـ سـمـاءـ وـلـاـ أـرـضاـ قـيـلـ :ـ هـذـاـ أـدـلـ دـلـيلـ عـلـىـ كـرـمـ هـذـاـ الـأـمـرـ وـنـرـاهـ هـذـاـ عـلـمـ أـلـاـ تـرـىـ أـنـهـ إـذـاـ سـبـقـ إـلـىـ اـحـدـهـ ظـنـةـ أـوـ تـوـجـهـتـ نـحـوهـ شـبـهـةـ سـبـبـ بـهـ وـبـرـءـ إـلـىـ أـهـلـهـ مـنـهـ لـمـكـانـهـ وـلـعـلـ أـكـثـرـ مـاـ يـُـرـمـىـ بـسـقطـةـ فـيـ رـوـاـيـةـ أـوـ غـمـزةـ فـيـ حـكـاـيـةـ مـحـمـيـ جـانـبـ الصـدـقـ فـيـهـ بـرـءـعـنـدـ أـهـلـهـ مـنـ تـبـعـتـهـ لـكـنـ أـخـذـتـعـنـهـ إـمـاـ لـاءـتـنـدـانـ شـبـهـ عـرـضـتـ لـهـ أـوـ لـمـنـ أـخـذـعـنـهـ إـمـاـ لـأـنـ ثـالـبـهـ وـمـُـتـعـيـّـبـهـ مـقـصـرـعـنـ مـغـزـاهـ مـغـضـوـضـ الـطـرفـ دونـ مـدـاهـ وـقـدـ عـرـضـ الشـبـهـ لـلـفـرـيقـيـنـ وـيـعـتـرـضـ عـلـىـ كـلـاـ الـطـرـيقـيـنـ فـلـوـلاـ أـنـ هـذـاـ عـلـمـ فـيـ نـفـوسـ أـهـلـهـ وـالـمـتـفـيـئـيـنـ بـطـلـهـ كـرـيمـ الـطـرـفـيـنـ !ـ جـدـ السـمـتـيـنـ لـمـ تـسـبـبـواـ بـالـهـجـنةـ فـيـهـ وـلـاـ تـنـابـزوـاـ بـالـأـلـقـابـ فـيـ تـحـصـيـنـ فـرـوجـهـ وـنـوـاحـيـهـ لـيـطـوـوـواـ ثـوـبـهـ عـلـىـ أـعـدـلـ غـرـرـهـ وـمـطـاوـيـهـ نـعـمـ !ـ وـإـذـاـ كـانـتـ هـذـهـ الـمـنـاقـضـاتـ وـالـمـنـافـسـاتـ مـوـجـودـةـ بـيـنـ السـلـفـ الـقـدـيمـ وـ (ـ بـيـنـ باـقـيـهـ)ـ بـالـمـنـصبـ وـالـشـرـفـ الـعـمـيمـ مـمـنـ هـمـ سـرـجـ الـأـنـامـ وـالـمـؤـتمـ بـهـدـيـهـمـ فـيـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ ثـمـ لـمـ